

في محاكم الالمان

وعقاب من كآفل

كتب الدكتور هوستله العالم الطبيعي البلجيكي في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية واصفاً عما كآه الالمان له ولمس كآفل وغيرها من الذين اثموا بتجنيد الجنود من الانكليز وهم في بلاد البلجيك. فرأينا ان نقتطف بعض ما كتب ليبتى جزءاً من التاريخ الصحيح لما فيه من الدقة التي قلما تراها في التواريخ قال : — استيقظت في السابع عشر من اغسطس سنة ١٩١٧ الساعة السابعة صباحاً وانا اسمع صوت قزع شديد على باب بيتي واثت الخادم وقالت لي ان بالباب رجلين يطلبان الكلام معك

وكنت قد سمعت منذ بضعة ايام ان من كآفل رئيسة مدرسة المرضات البلجيكيات والميسو سقرين الصيدلاني قد قبض عليهما . وكنت اعلم ان من كآفل اثلقت كل المراسلات التي دارت بيني وبينها مما يتعلق بالمساعدة التي كنت اساعدها بها ولكنني كنت لا ازال موجساً شراً . ولم أكد اسمع صوت الخادم حتى سمعت واحداً يتولى بصوت جهوري « لا وقت لنا للانتظار » وجعل يصعد على السلم الموصل الى غرفتي ففتحها لاستقبله ولما وقع نظره علي سكن غيظهُ وقال ان اسمهُ هنري ثم بش في وجهي وقال داني مأمور لاطلب منك ان تشهد في دعوى على الميسو سقرين ومن كآفل ولكن لا بد لي قبل ذلك من تفتيش بيتك »

واقام ساعتين فتش فيهما كل غرفة وكل خزانة وكل صندوق فلم يجد شيئاً اخشى منه . واخيراً قال هلم معي وسرّجع عند الظهر . وكان معه سيارة فاصعدني اليها وجلس الى جانبي وقال لي ان من كآفل والميسو سقرين الصيدلاني اخبراه بعيرتي الوطنية . ثم استطرد الى نظام التجنيد الذي اكتشفه حديثاً وذكر اسماء كثيرين من معارفي . فقلت في نفسي لقد قضي علي وتعدرت النجاة . ومررت قرب بيت سقرين فاشار اليه وقال هو ذا بيت صديقك الميسو سقرين وهو رجل همام يعرف كيف يدافع عن اعماله الوطنية . ونحن عارفون بكى ما فعلتم ونصيحتي لك ان تقول الحق فان اصحابك اعترفوا بكمهم ووقفوا امترافهم بايديهم . واللهم

التي اتهمت بها طعنة وليس كذلك تهم اصحابك فلا خوف عليك . ويجب ان تعلم ان القرائين الحربية الالمانية تتشابه جداً مع الذي يتكلم الصدق ولكنها صارمة جداً على الذين يخاملون ويكذبون

ولم يكن اسم هذا الرجل دنري كما ادعى بل كان اسمه بنخوف فتمرست في وجهه واذا هو يهودي وكان يحسن الفرنسية كما بنائها فقزت نفسي مما رأيت فيهِ من الخسة والمكر والذفاق فلم اقل شيئاً ولكنني عرفت اني أخذت وقد لا انجو . ولما وصلنا الى شارع البارلنت وقتت السيارة امام بناء كبير فيه ديران البوليس الحربي الالمانى فسلمني الى الملازم الذي هناك وكان هذا يحسن الفرنسية ايضاً فقال لي ان سبب القبض عليك هو ما قرره عنك الميسو سفيرين ومس كافل وذلك اولاً انك اويت جنوداً من الانكليز في بيتك . وثانياً انك اتيت بجنود من الانكليز الى الميسو سفيرين وعليت منه ان يترهم في بيتو فاجاب طلبك . وثالثاً انك اعطيت مس كافل مبالغ طائلة من النقود لكي تستخدمها في ارسال الجنود الى اصحابهم في ميدان القتال

فقلت له اني انكر بتاتا ما قيل من اني اويت جنوداً من الانكليز في بيتي بل اقسم لك اني لم ار في حياتي جندياً انكليزياً فقال الظاهر ان هؤلاء الرجال لم يكونوا بلباس الجنود

فقلت « اني لا اتكلم قصد المواربة والتضليل بل اؤكد لك اني لم ار احداً من جنود الانكليز لا قريباً ولا بعيداً لابلس الجنود ولا بغير لبس الجنود . وقولي هذا يفي التهمة الثانية » وقد أكدت هذين الانكارين لعلي اقف على ما قرره الميسو سفيرين ولكنه لم يرفي اياه مع اني طلبت مراراً ان اراه بل قال يمكنك ان تتناظر في هذه التهمة مع الميسو سفيرين نفسه الذي قال انه انزل الجنود في بيتو بناء على طلبك (اماناً فلم اطلب ذلك منه بل من زوجته) وقد ايدت مس كافل ذلك

فقلت وهل قالا ايضاً اني انا انزلت جنوداً من الانكليز في بيتي فقال لا ولكن هذا يستتبع استنتاجاً لانك لا تستطيع ان تدرب الجنود ما لم ترهم في بيتك اولاً

فقلت ان هذا هو الامر الذي اريد ان ناقش الميسوسقيرين فيه ولذلك
اطلب ان يجمعوني به

فقال وعني كل حال لا تستطيع ان تكرر انك اعطيت من كافل نقوداً
لكي تسفر الجنود

فقلت اني انكر كل الانكار كوني اعطيت من كافل نقوداً لهذه الغاية
فقال اراك يا ميسو هو مستهجن تحجب عن سائلنا قصد تضليلنا لا قصد اظهار
الحقيقة وهذا لا ينطبق على شهادتك وغيرتك الوطنية ولذلك اقول لك انك
موقف وان هذا التصرف قد ينالك منه ما لا تحمد

فقلت انه لم يخف علي مرادك وهو انك تريد ان اعترف لك بشيء يكون
سبباً لا يقافي . واريد ان تعلم ان اجوبتي كلها لا يقصد بها التضليل بل هي
مطابقة للواقع تماماً
فقال وكيف ذلك

فقلت اولاً اني انكر اعطائي الدرهم لمس كافل لكي تسفر الجنود الذين كانوا
في مدارسها الى ميدان القتال ولكنني لا انكر اني اقرضتها بعض النقود لكي
تنزل في بيئها رجالاً أزلوا في بيئها ولو رغماً عنها

فقال انك لم تعط من كافل النقود لهذا الغرض . وهاك اعترافها الموقع باسمها
وانت تعرف الاثمانية فأقرأه

فقرأت ما قدمت اني وهو موقع باسمها واسم سائرين . مع اننا كنا اتفقنا ان
لا نعترف بشيء ولا نذكر اسم احد . ولم أكد اصدق انها فهمت ما وقعت له لانه
يثبت التهمة على كثيرين ولا سيما عليها . وقلت اني لا اتحمل الا مسؤولية ما
اقرره انا نفسي فان كانت من كافل فهمت ان لاعطائي النقود لها غاية غير الغاية
التي قصدتها انا فذلك مما يثري واريد ان اجتمع بها حتى تتفاهم . فان التوسع
في تفسير المقاصد يفضي الى التضليل ولذلك لا استطيع ان اخرج عن تقرير
الحقيقة كما هي تماماً

قلت ذلك وانا لا اعلم انطباق ما قلته على ما فعله الألمان في استنطاقها فانهم
استعملوا كل الحيل في التواء الاسئلة واستحلاب الاجوبة وتحويلها في الترجمة حتى
وافقت غرضهم كما افصح في بعد ذلك

فقال بنخوف كم هي النقود التي اعطيتها لمس كافل

فقلت مئتا فرنك او ثلثمائة

فقال كذبت فان مس كافل قالت انه اكثر من ذلك كثيراً

فقال له الملازم كم قالت (وكان في اكثر الوقت صامتاً)

فقال بالالمانية الف فرنك

فصرخت قائلاً كم

فقال ان ما لدينا من الادلة يجعل المبلغ اكثر من ٦٠٠ فرنك

فقلت انني اطلب ان يجمعوني بمس كافل

وهنا انتهى الاستجواب وتركت الى ان ام بنخوف صملة فناداني وقال

بلطف هنّا بنا وفتح لي باب السيارة

فقلت له الى اين فتقال الى سنت جلس (وهو سجن)



مرت ثلاثة ايام وانا في السجن لا حمل لي الا التفكير والتلوف من ان يقبضوا

على اهلي فانهم اذا قبضوا على واحد يتهمه وقت الشبهة على كل اصدقائه ولا سيما

اذا وجدت اسماؤهم بين اوراقه ولو كانوا من ابد الناس عن التهم . واي بنجيكي

لم يصل عملاً لا يمدّه الالمان جرعة او اشتراكاً في جرعة وهم محتلون بلادنا .

واخيراً فتح باب غرفتي وامرني السجن ان اسير وراء جندي فاوصلني الى غرفة

فيها ملازم البوليس وبنخوف ولما دخلت قال لي بنخوف لقد ظهر في قضيتك

امر شديد الخطر فقلت وما هو . قال انك كنت تتعامل مع امرأة من البوريناج

(جهات مونس) وقد اوقفتنا على كل علاقتك معها ومع اناس من بلادها فلاحين

ومعدّين واخبرتنا ايضاً عن علاقتك مع عمارة اسمه ليه ومع الميرون وزوجته

وكل ما اخبرتنا به مطابق لمذكرات مكتوبة في يوميتها ولما قاله جيرانها . وانت

تعرفها وهي امرأة كبيرة الجسم منقوشة الشعر

فقلت اني اعرفها وامرهما لا يضرفي بل ينقعي

فاستغرب قولي لاسيما وانه كان يعتقد دائماً اني على جانب عظيم من الدهاء

وقال كيف ذلك

فقلت ان الدرهم التي قيل في دثار من كاذل انها هي كان المراد اعيانها وهذه
المرأة تعريفاً عن خدمتها للرجال في بلدها فاتها كانت تأتي بالجنود الانكليز
من البوريناج التي بوكسل لكي تصرف الخطر عن السكان الذين الزلوم في بيوتهم
فقال وكيف عرفتها

فقلت عرفني بها رجل لم اكن اعرفه

فقال لا يوجد رجل لا تعرفه فابع لنا باسمه

فقلت اني اكر ما قلته وهو اني لم اكن اعرفه. جاءني تطالب مساعدتي كما
يحدث مراراً زمن الحرب اذ يستعين بك آخر لاقبل سبب. جاءني وذكرت لي اسمها
ولم ارها بعد ذلك اما اسم الرجل فلن ابرح لكم به

فاغتاض بنخوف وقال الملازم انه لا يسمح بذلك. ولكنها لما رأيا اصراري قال
الافضل لك ان تتأمل الحالة التي انت فيها. وستجوب غداً او يوم الاثنين
وخرجنا كلاهما من العرفة ولكن بنخوف التفت الي وكأنة كظم غيظه وقال لي
هل استلمت الرزميتين اللتين ارسلتها زوجتك لك

ب

وبعد اربعة ايام طلبت لاجل التوفيق على اعترافي امام بنخوف والملازم برغان
والكاتب فسألني الكاتب عن عملي وعملي وكتب ذلك في نسخ عديدة. ثم قال
بنخوف « اخبرنا بكل ما لك من العلاقة في قضية من كاذل ». فلم أكد اشرح في
الكلام حتى اختلفنا وتخاصنا فاتها كانا بحبان ان اساس التهمة هو الامر الذي
اجبه انا عرضاً من اعراضها فاراد ان ينسب الي ان الناية التي كنت ارمي اليها
هي ارسال الجنود الى ميدان القتال اما انا فاصرت على ان عرضي كان المجيء
بهؤلاء الجنود من ولاية البوريناج لان بقاءهم هناك يعود بالخطر على السكان كلهم
نظراً الى الاسلوب الذي جرى عليه الامان وهو الانتقام من السكان كلهم لجرعة
يرتكبها بعضهم. فقلت ان عرضي كان مساعدة اولئك السكان الذين يستحقون كل

مساعدة لتخليصهم من الورطة التي وقعوا فيها ولو لم يكن لي يد في وقوتهم فيها

فقال بنخوف اليك عن الروغان فانا صريح على الاقل لا اعوج الامور
فقلت انه سهل عليك ان تسر اعجابي حتى تظهر فظيعة ويصير لمالك شأن

كبير اما انا فلا مصلحة فيما يزيد عقابي

وبعد جدال طويل اتفقتنا على صورة الاعتراف التالية وهي ان اعطاني
النقود مساعد على ارسال الجنود الذين هربوا والذين تمجدوا الى ميدان القتال
مع الحلفاء

فقال بنخوف اذا اردت ان تساعد الجنود الانكليز الذين كانوا محتجزين عند
الفلاحين في البوريناج حتى ينجوا وقد سمعت عنهم من مدام C ومن ثم ابتدأ
اقصالك عن كاتل والمرأة لوبزا
فقلت نعم

فقال علي جاري طادته الخبيثة من نصب الفخاخ للذين يستجوبونهم . « تعلم
انا وجدنا امس ان الميسو سولته يقابل الناس سرا في امر التجنيد . وغرضه
من هذا القول ان يتهم اكبر اصحاب المعامل الصناعية في بلجكا الذي كانت له اليد
الطولى في تأليف لجنة الطعام. ولو استطاع بنخوف ان يصل الى هذا الغرض لوضع
في يد الالمان اكبر وسيلة للقضاء على بلجكا القضاء المبرم . فظهرت الاستحباب
الشديد من قوله لانني كنت واثقا ان تهمة كاذبة فان الميسو سولته كان حريصا
جدا لكي لا ينسب الى تلك اللجنة اقل شيء ويستطيع الالمان ان يتذرعوا به
ضدها. وقال لي الملازم حينئذ انا نحن الالمان ماهرون في اكتشاف الخبايا . فقلت
له أكد يا حضرة الملازم انا لا لشكو من قلة مهارتكم

ثم عدنا الى الاستجواب وكان علي ان ابين مالي من العلاقة بستة من الرجال
والنساء الذين كانوا يأتونني ويأخذون الدراهم مني . ولما اخذت في الجدال قال لي
بنخوف بحدة انك ستندم على ان افلتت اياتا

فقلت له ورفيقه بهكم لم يحظر بيالي ان ادوت كل ما فعلت استعدادا
لاستجوابي امامكم. هذا واكرر لكم القول انني اعطيت نفردا لبعض الناس ولكن
لم يكن عندي مكتب لتجنيد الجنود ومع ذلك فاني اوافق على المبلغ الذي ذكرتموه
سواء كان اكثر من المبلغ الذي دفعته او اقل منه

فقال بنخوف من اين اتيت بهذه النقود كلها اظن انك لم تدفعها كلها من جيبيك
فقلت اصبت فان جانباً كبيراً منها اخذته من اصدقائي
فقال من هم وما هي اسماؤهم

قلت لا شأن لاسماهم في هذه القضية فانهم عرفوا انني مشتغل بامر وطني
وتفوا انني انقر هذه التهمة في النصف الليل وقد حرمت الا حتى لا اخبرهم
بمعملهم عرضة لسراخدة اذا اكتشفتم امرهم
فتركا هذا الموضوع وعادا الى سئلة مس كافل وانكرت انني دفعت لها كل
سلع الذي بالالا ان هي قالت انني دفعت لها وانكرت ايضا اني انا اخذت الجنود
الى بيتها وطلبت ان يجمعوني بها. ولم تتمكن من جعلها يكتبان انكاري هذا الا
بعد جدال طويل. وعدت الى السجن مهوك القوى وعلمت ان غيري لقي من
بخوف الامرين

وهنا لا بد لي من كلمة عن مس كافل قبل الكلام على محاكمتنا. فقبل معركة
مولس اخذ السكان جماعة من جرحى الانكليز واسراهم النازيين والفرجين في بيوتهم
وبعد قليل رأوا ان الزاطم في بيوتهم يمود عليهم بالضرر. وكان بين الجرحى
كولونل من اركان الحرب شفي سرياً واراد العودة الى جيشه فاتي به الى بركل
ولما وصل اليها وجد انه اضعف من ان يحتمل مشقة السفر ولم يجد سرجاً يلجأ اليه
الا مدرسة الممرضات التي رئيسها مس كافل فان هذه السيدة كانت قد اشتهرت
بالسالة والغيرة الوطنية. ثم شفي غير ذلك من الجرحى دارس لهم اليها الى ان يتيسر من
يوصلهم الى ميدان القتال لكن كان السفر يزداد صعوبة فكان بيتها من ديسمبر
سنة ١٩١٤ الى يوليو سنة ١٩١٥ مملوءاً بالجنود دائماً لحقت عليها وحدثتها
سوء العاقبة فكانت تقول لي ما من شيء يجعلني اقبل باي في وجه هؤلاء الجنود
الا اذا استلوا تماماً حتى لا يسع فوق من فيه او تقدت تقودي فمعجرت عن
الاتفاق عليهم. واستمرت على ذلك الى ان درى بها البوليس الالمانى فآذت بانها
تجنبد البلجيكيين وترسلهم الى ميدان القتال اما هي فانكرت ذلك وقالت انها انما
كانت مهتمة بايصال الجنود الى النجوة وهي وصلوا الى هناك فهم وشأنهم.
وانهمت ايضاً بالتجسس فانكرت ذلك كل الانكار وهي صادقة في انكارها ولم
تكذب لانها لم تتجسس مطلقاً. والحق انها لم تحارل انتجنيدي ولا التجسس وانما
كان غرضها ان تنجي جنود الانكليز ثم جنود الحلفاء الذين يلتجئون اليها لجنود

حبها لوطنها ونوع الألمان . ولقد اتقذت من المرض والسجن مئات من الأسرى
القارين . نعم انها اعترفت بانقاذ مئتين فقط ورددتهم الى ميدان القتال ولكن كان
لعملها فروع كثيرة ولذلك كان عدد الأسرى الناجين اكثر من ذلك كثيراً

المحاكمة

جاءني السجن صباح اليوم السابع من أكتوبر بقليل من الخبز والقهوة
وقال لي كل سريعاً فانك ذاهب الى المحاكمة اليوم ، فالتهمت ما تقدم لي وانا افكر
في اهل بيتي ولا ادري متى استطيع ان آكل ايضاً ولكن لم يخافني شك في اني
اسلم وانجو وقت عقد الصلح ثم سيرتنا من السجن اثنين اثنين يحيط بنا الحرس
واركبونا سيارتين كبيرتين وكان الى جانبي رجل نحيف الجسم ايضاً اللحية فقال
اتوا بي كشاهد وقد مضى علي الآن شهران وانا في السجن فهل سمعتم مثل ذلك .
وامامي رجل وزوجته ومدام C وتكاد يفضي عليها ولما وقع نظرها علي ابتسمت
فقلت لها ما ذنبك قالت اويت بعض الانكليز لاغير . فقلت لها لا تخافي اذا
لا يقتلونك . فقلت اوانتي انت قتلت لها نعم وحسبك النجاة من القتل في هذه
الايام . فقالت اصبحت . ونزلنا من السيارة ومررنا اثنين اثنين في دار مجلس النواب
الى مجلس الشيوخ فرأينا هناك نحو ثلاثين من المتهمين وكاتوا قد سبقونا وكلهم
تقريباً من العمال ثم جاء غيرتنا من المتهمين . ودخلت فتاة بشباب سوداء ومعها
رفيقة لها بشباب سوداء فقال لها رجل من البوليس هنا مكانك ايها البرنس .
وكان امامنا مائدة طويلة خضراء ضابط حسن القوام حسن البزة وسار اليها ووضع
خوذته وحفظته كبيرة من الاوراق . وهو القاضي الحربي وامرنا في يده . فنظر
بينة ويسرته كأنه فارس جاء لمبارزة خصمه وهو واثق بالقوز عليه . ودخل
وراءنا جماعة كبيرة فرأيت بينهم رجلاً من معارفي ومعهُ رجل بدين قصير
القامة فقلت لعلهُ المحامي الذي آتى ليدافع عني . ودخل بعض الضباط ووقفوا
يتكلمون ثم اخرجوا كل الذين بشباب ملكية . وكان صديقي محامياً ايضاً ولكن
لم يسمح له بالبقاء وانما سمح للمحامي لانه يستطيع الدفاع بالالمانية . ونودي علي كل
مننا باسمه وذكر كل محام من آتى ليدافع . ثم أمرنا بالخروج كلنا ما عدا من كاذل
ستأتي البقية